

شرح أصول الكافي

[3] بسم الله الرحمن الرحيم باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب * الأصل: 1 - محمد

بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن جابر قال: قال: أبو جعفر (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان. فما ورد عليكم من حديث آل محمد (صلى الله عليه وآله) فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه وما اشأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد، وإنما الهالك أن يحدث أحدكم بشئ منه لا يحتمله، فيقول: والله ما كان هذا، والله ما كان هذا، والإنكار هو الكفر. * الشرح: قوله (إن حديث آل محمد صعب مستصعب (1) لعل المراد أن حديثهم وحديث ما هم عليه _____ 1 - قوله " صعب مستصعب " مفاد هذا

الباب نهى العوام عن التعرض لما لا يفهمون ولا يستعدون لإدراكه ونهى الخواص عن إلقائه على العوام كما قال موسى بن جعفر (عليهما السلام) ليونس " ارفق بهم فإن كلامك يدق عليهم " وقد نهى الحكماء عن مثل ذلك. قال ابن سينا في أول الإشارات: وأنا أعيد وصيتي وأكرر التماسي أن يرض بما يشتمل عليه هذه الأجزاء كل الضن على من لا يوجد فيه ما اشترطه في آخر هذه الإشارات وقال في آخر الإشارات: فضنه عن الجاهلين والمبتدلين ومن لم يرزق الفطنة الوقادة والدرية والعادة وكان صغاه مع الغاغة، أو كان من ملحة هؤلاء المتفلسفة، انتهى. وسر ذلك أنه ما من مسألة من المسائل العقلية والأصولية إلا وللوهم فيها معارضة ومكافحة يجب التمرن لدفع وسوسته حتى يؤمن العقل من إبداء الأدلة ويخضع النفس له ولا بد أن يكون الناظر في الأدلة متمرنا في تفكيك مدركات الوهم عن مدركات العقل ويرتاض حتى يعتاد ولا يحصل ذلك بسهولة لكل أحد، وهذا معنى قوله (عليه السلام) " امتحن الله قلبه للإيمان " والمثال المعروف أن العقل يركب قياسا من مقدمات بينه يوافقها الوهم فيقول: الميت جماد والجماد لا يخاف منه، فينتج: الميت لا يخاف منه، فيعترف العقل بهذه النتيجة ولا يعترف الوهم، وكذلك الإيمان بالله يعارضه الوهم بأن كل موجود محسوس، والله تعالى ليس بمحسوس فهو - نعوذ بالله - ليس بموجود، والإيمان بالوحي والنبوة يعارضه الوهم بأن ليس للإنسان قوة إدراكية غير هذه الحواس الظاهرة والباطنة فكيف يدرك النبي أو الولي الوقائع الماضية والآتية والأمور الحالية الحادثة في الأماكن البعيدة مع وجود الحائل؟ وكيف يسمع الصوت من عالم آخر لا يسمعه غيره؟ = (*)